أين أنت من فعل السنن ؟

إعداد
أزهري أحمد محمود

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار ابن خزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى الكبير المتعال، العظيم ذي الجلال، والصلاة والسلام على النبي الهادي إلى الكمال، وعلى أصحابه والآل، وبعد:

أخي المسلم، لقد بعث الله تعالى نبيه داعياً إلى الصراط المستقيم، والهدى القويم، فمن تبعه اهتدى ونجا، ومن خالف طريقه ضل وهلك!

هو السراج المنير، والبرهان الساطع.

جعل الله تعالى طاعته مقرونة بطاعته ، ومرضاته مقرونة بتصديقه ونصرته، من نصره نُصر، ومن خذله خُذل.

قال الله تعالى: {**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**} [النساء: 69].

وقال تعالى: {**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا**

أَرْسَـــلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [النســـاء: 80].

وقال تعالى: {**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـــولَ وَاحْـــذَرُوا فَـــإِنْ تَـــوَلَّيْتُمْ فَـــاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُـــولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**} [النور: 54].

وقـال تعـالى: {**قُـلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَـــاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِـــرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُـورٌ رَحِيمٌ**} [آل عمران: 31].

فيا حريصًـــا على ما ينفعــــه، ويا طالبًا فضل الله الجزيـــل، حاسب نفســـك، وقِف معها وقفة صادقة في تقويمها.

هل بحثت في حالك يومًـــــــــا؛ فقلت لنفسك: أين أنا من فعل السنن؟!

السُّــــنَّة! شـــــعار المفلحين، وآية الصادقين!

أتدري ما هي السنة؟!

قـــال الحافظ ابن حجر رحمه الله في تعريفها: ما جاء عن النبي ﷺ من أقواله،

وأفعاله، وتقريره، وما همَّ بفعله.

أخي المسلم، السنة عرف فضلها الصالحون، وشمر لها المخلصون، ولشرفها وصى النبي في آخر أيامه بالتمسك بها، والتشبث بعراها!

عن العرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال: صلَّى بنا رسول الله ذات يوم، ثم أقبل علينا بوجهه، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع فأوصنا، فقال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة، صححه الألباني في المشكاة: 165].

قال ابن عون رحمه الله: ثلاث أحبهن لنفسي ولإخواني؛ هـذه السـنة أن يتعلموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهَّموه ويسـألوا عنه، ويَدَعُوا الناس إلا من خير.

أخي المسلم، السنة دليل على صدق متابعتك وحبك للنبي ، فماذا عملت فيها؟!

فإنك مهما طلبت من درجة عالية في هذا الدين فلن تدركها بغير السُّنَّة!

فــإنَّ فعل الســنن زينة العمل الصــالح، وبهاؤه الوضَّاء، لذلك كان المحافظون على الســنن أكمل النــاس عملاً، وأقــربهم إلى الصواب.

ولا تجد صاحب سـنة إلا وهو سـاع دائمًا إلى أرفع الدرجات في العمل الصالح.

لذلك كـان الصـحابة - رضي الله عنهم - أكمل الناس هديًا، وأصدقهم متابعة للنبي .

قال ابن مســعود - رضي الله عنه -: من كان مُستنًّا فليستن بمن قد مـات، فـإن الحي لا تـؤمن عليه الفتنـة، أولئك أصـحاب محمد ، كـــانوا أفضل هـــذه الأمـــة؛ أبرها

قلوبـــا، وأعمقها علمًـــا، , وأقلها تكلفًـــا، اختـارهم الله لصـحبة نبيـه، ولإقامة دينـه، فـــاعرفوا لهم فضـــلهم، واتبعـــوهم على آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وســـيرهم، فـــإنهم كـــانوا على الهـــدى المستقيم.

وها نحن في زمـــان زَهد الكثـــيرون فيه عن الســنن؛ إما جهلاً، وإما إعراضًـا! حـتى اندثرت الكثير من معـالم السـنن، وأضـحى الـــدين عند الكثـــيرين هو ما توارثـــوه، وما شبوا عليه!

ومن رغبة الناس عن الســـنن الزهد في تعلمها والسؤال عنها، ومن علم منهم شـيئا منها تراه غير حريص على العمل به!

وأَعجَبُ من رجل عَبَــدَ الله تعـــالى من غـير أن يستضـيء بهـدي النـبي وسـنته! فمِن أين لهذا أن يكون من المهتدين؟!

قـــال رســـول الله : «**تـــركت فيكم أمـرين لن تضـلوا ما تمسـكتم بهمـا؛ كتاب الله، وسنة رســوله**» [رواه مالك

في الموطأ، حسـنه الألبـاني في المشـكاة: 186].

قال ابن بطال رحمه اللـه: لا عصـمة لأحد إلا في كتاب اللـه، أو سـنة رسـوله، أو في إجماع العلماء على معنى في أحدهما.

فهل أنت أخي من أولئك الراغـبين في فعل السـنن؟! أم من أولئك المتهاونين في فعل السنن؟!

سـؤال اسـأله نفسـك، وإيـاك أن تخفي جوابهـــا! فإنك لن تتجـــاوز أحد القســـمين السابقين!

وأخطر ما في الإعـراض عن السـنن أن الناس إذا أعرضـوا عن السـنن حلت محلها البـدع ومحـدثات الأمـور، وهـذا مُلاحظ في واقع كثير من المسلمين.

قال ابن عبـاس - رضي الله عنهما -: «ما يـأتي على النـاس من عـام إلا أحـدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة، حتى تحيا البدع وتموت السنن».

وقـــــال لقمــــان بن أبي إدريس

الخـولاني: ما أحـدثت أمة في دينها بدعة إلا رُفع بها عنهم سنة.

لقد أصبحت السنن في هذا الزمـان في غربة شـديدة، حـتى إن الكثـيرين إذا رأوا سـنة أنكروهـا! فغـدت السـنة عند هـؤلاء بدعة، والبدعة سنة!

وصـدق ابن مسـعود - رضي الله عنه - في وصف حال هـؤلاء يـوم أن قـال: «كيف بكم إذا اشـتملتكم فتنة يهـرم فيها الكبـير، ويربو فيها الصـغير، يجـري عليها النـاس يتخذونها سنة، إذا غيرت وعُمل بغيرها قيل: هذا منكر!

أخي المسـلم، إذا أردت أن تتصـور حقًا غربة السنة في هذا الزمان فقف معي عند هذه الأقوال.

* **قال أبو الدرداء** - رضي الله عنه -: لو خرج رسول الله ﷺ عليهم ما عـرف شـيئًا مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة!

* **وعن أنس بن مالك** - رضي الله عنه - قال: ما أعـرف منكم ما كنت أعهـده

على عهد رسـول الله غـير قـولكم: لا إله إلا اللــه! قلنــا: بلى يا أبا حمــزة، قــال: قد صليتم حـتى تغـرب الشـمس! أفكـانت تلك صلاة رسول الله ؟!

* **وقـال ميمـون بن مهـران** رحمه الله: لو أن رجلاً أُنشر فيكم من السـلف ما عرف غير هذه القبلة!

لقد أنكر هــؤلاء الأفاضل حــال النــاس، ونعــوا إليهم غربة الســنن في زمن ما زال الـدين فيه غضًـا، وأنفاسه ممزوجة بالهـدي الأول! فكيف لو أدركوا زماننا؟!!

فاعتبر بذلك؛ حـتى تعلم ما عليه النـاس في هذا الزمان من ابتعادٍ عن السنة!

حـتى أصـبح من تمسك بالسـنن غريبًـا، وعن جماعتهم منبوذا! وهو مصداق ما أخبر عنه الرسول بقوله: «**يأتي على الناس زمـــــان الصـــــــابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر!**» [رواه الترمذي، صحيح الترمذي للألباني: 2260].

وفي روايـــة: «**يـــأتي على النـــاس**

زمـــان المتمسك فيه بســـنتي عند اختلاف أمتي كالقابض على الجمر!» [السلسلة الصحيحة: 2/646].

لقد شبه النـبي ﷺ ما يجـده المتمسـكون بالسنن من الأذى بالقابض على الجمر!

وهو وصف أبلغ ما يكـــون في تصـــوير واقع المتمسكين بالسنن، وفي ذلك تسـلية لهم، وحضٌ على التمسك بالســنة؛ حـتى لا يثني عزمَهم ما يجدونه من الأذى في ذلـك، وهي لفتــات رائعة من الخطــاب النبــوي، وهي من جوامع كلمه ﷺ!

فيا من حباك الله تعالى بفعل السنن، لا يضــعفنك ذلك التيــار الــواهي، ولا يضعضع عزمك إغواء المضلين.

ويا راغبًا في فعل الســـنن، لا يصـــدنك عنها افتراء الضالين.

فإنك إن وُفِّقت إلى ذلك فقد اعتصــمت بأصل عظيم، ولُذت بحصن منيع!

قــال ســفيان الثــوري رحمه اللــه: اسلكوا سبيل الحق، ولا تستوحشوا من قلة

السالكين.

فحاسب نفسـك، وعوِّدها فعل السـنن، ولا تكن إمعة تقول: أنا مع الناس!

ولا تلتفتن إلى قـول قائـل؛ فـإن إرضـاء الخلق غاية لا تدرك، فاجعل الرغبة واحـدة، واصدق مع الله تعالى يبلغك آمالـك، ويكبت أعداءك.

أخي المسلم، هل أنت من الحريصين على معرفة السنن وتعلمها؟!

فلقد كان الأوائل من سلف هـذه الأمة - رضي الله عنهم - حريصــــين على معرفة سـنة نـبيهم ﷺ، وإليك هـذه القصة عن واحد منهم تدلك على ذلك.

عن ابن عبـاس - رضي الله عنهما - أنه بـــات عند ميمونة وهي خالتـــه، فاضـطجعت في عـرض وسـادة، واضـطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولهـا، فنـام حـتى انتصف الليل أو قريبًا منه، فاستيقظ يمسح النوم عن وجهه، ثم قرأ عشر آيـات من آل عمـران، ثم قـام رسـول الله ﷺ إلى شـنٍّ

معلقـــة، فتوضأ فأحسن الوضـــوء، ثم قـــام يصـــلي، فصـــنعت مثلـــه، فقمت إلى جنبـــه، فوضع يده اليمنى على رأسي، وأخذ بـــأذني يفتلهـــا، ثم صـــلى ركعـــتين، ثم ركعـــتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتـــر، ثم اضـــطجع حـــتى جـــاء المـــؤذن، فقـــام فصـــلى ركعـــتين، ثم خـــرج فصـــلى الصبح. [رواه البخاري ومسلم].

أخي المســلم، لقد كــان ابن عبــاس يوم أن شهد ذلك صــغيرًا، ولكن دعته همته إلى التعلم من النـبي ﷺ، فلا غرابة أن يصــبح بعدها حبر الأمة وترجمان القرآن!

فحاسب نفسـك، وحـاول أن تعـرف أين موقعك في أرض السنن؟!

وإذا أردت أن تحاسب نفسك في ذلك فقلِّب كل أوراقــــــك؛ لتعلم هل أنت ممن يحرصون على فعل السنن؟!

*** هل عفوت لحيتك؟!**

فقد قال النبي ﷺ: «**أحفوا الشـوارب، وأعفوا اللحى**» [رواه البخاري ومسلم].

*** هل قصرت ثوبك؟!**

قــال رســول الله ﷺ: «**إزرة المســلم إلى نصف الســاق، ولا حـــرج** - أو: **لا جنــاح** - **فيما بينه وبين الكعــبين، ما كــان أســفل من الكعــبين فهو في النــار، من جر إزاره بطــرًا لم ينظر الله إليــه**» [رواه أبو داود وغـيره، صـحيح أبي داود للألباني: 4093].

*** هل أنت من المحـــافظين على النوافل؟**

عن أم المؤمـــنين أم حبيبة - رضي الله عنها - قالت: سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «**من صــلى اثنــتي عشــرة ركعة في يـــومٍ وليلــــة، بُنِي له ِبهنَّ بيت في الجنة!**» قـالت أم حبيبـة: فما تـركتهن منذ سمعتهن من رسـول الله ﷺ، وقـال عنبسـة: فما تــركتهن منذ ســمعتهن من أم حبيبــة، وقـــال عمـــرو بن أوس: ما تـــركتهن منذ ســمعتهن من عنبســة، وقــال النعمــان بن سالم: ما تـركتهن منذ سـمعتهن من عمـرو بن أوس. [رواه مسلم].

أخي المسلم، خذ بحظك من النوافل؛ فإنها نعم الذُّخر تدَّخره غدًا ليوم حوجتك!

*** وهل أنت ممن يصـــلي كصـــلاة النبي ؟!**

فقد علَّم النــبي أصــحابه - رضي الله عنهم - كيفية الصــلاة، وأمــرهم أن يصــلوا كصــلاته ، وشــدد في ذلــك، ولكن مع ذلك كله فــإن الكثــيرين لا يحرصــون على أداء الصلاة كما صلاها النبي !

*** وهل أنت ممن يحرصــــون على تسوية الصف في الصلاة؟!**

فـــإن تســـوية الصف في الصـــلاة من الســنن العظيمة الــتي أمر بها النــبي ، بل جاء الوعيد منه في عدم تسويتها!

قال رسول الله : «**سووا صفوفكم، وحـــاذوا بين منـــاكبكم، ولِينُـــوا في أيدي إخـوانكم، وسـدوا الخلـل، فـإن الشـيطان يـدخل فيما بينكم بمنزلة الحذف**» [رواه أحمد والطبراني وغيرهمـا، صحيح الترغيب للألباني: 491].

وقـال النـبي ﷺ: **«لَتُسَوُّنَّ صـفوفكم، أو ليخالفن الله بين وجوهكم!»** [رواه البخاري ومسلم].

وفي هذا الحديث وعيد شــديد غفل عنه الكثيرون وهم يتهـاونون بتسـوية الصـفوف، فلا غرابة أن ترى النفْرَة والجفـاء بين كثـير من المسلمين، وهو تصديق لإخبـار النـبي ﷺ بذلك.

*** هل أنت من المحـــافظين على الصلاة إلى سترة؟!**

فقد ثبت عن النــبي ﷺ أنه كــان يحــرص على الصلاة إلى شـيء يسـتره من النـاس؛ أن يمروا أمامـه، وأمر ﷺ المصـلي إذا صـلى أن يصــلي إلى شــيء يســتره من النــاس، والأحــاديث في ذلك مروية في الصـحيحين وغيرهما.

*** هل أنت حــريص إذا توضــأت أن تتوضأ كوضوء النبي ﷺ؟!**

الوضــوء هو البــاب الــذي يــدخلك على الصلاة، فلا صلاة بغـير وضـوء، وقليل أولئك

الذين يحرصـون على الوضـوء الصـحيح كما توضأ النــبي ﷺ، فقد كــان ﷺ إذا توضأ أســبغ الوضوء.

قـــــال رســــــول الله ﷺ: «**من توضأ فأحسن الوضوء خـرجت خطايـاه من جســــده، حـــتى تخــــرج من تحت أظفاره!**» [رواه مسلم].

فهـــذه الفضـــيلة لا ينالها إلا من أحسن الوضوء، فتوضأ كما توضأ النبي ﷺ.

*** هل أنت من المحـــافظين على الأذكار بعد الصلاة؟!**

ثبت عن النـبي ﷺ عـدة أذكـار تقـال بعد الصــلاة، ولكن البعض إذا فــرغ الإمــام من الصلاة تعجلوا بالخروج من المسجد!

عن معـاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن رسـول الله ﷺ أخذ بيـده وقـال: «**يا معـاذ، والله إني لأحبـك**» فقـال: «**أوصـيك يا معـــاذ لا تـــدعن في دبر كل صـــلاة تقـــول: اللهم أعـــني على ذكـــرك وشكرك وحسن عبادتك**» وأوصى بذلك

معـاذ الضـابحي، وأوصى الضـابحي أبا عبد الـــــــرحمن. [رواه أبو داود - واللفظ له – والنســـائي، صـــحيح أبي داود للألبــــاني: 1522].

*** هل أنت ممن يحرصـــــون على التيمن في أمره كله؟!**

إن الحـــرص على تقـــديم اليمين - في الأكل والشـــرب ولبس النعـــال والطهـــور ودخـول المسـجد، وغـير ذلك - مما حـرص عليه النبي .

عن عائشة - رضي الله عنها - قــــالت: «كــان النـــبي يعجبه الـــتيمن في تنعله وترجله وطهـوره، وفي شـانه كلـه» [رواه البخاري ومسلم].

*** وإذا صــمت هل تحــرص على السحور وتأخيره، وتعجيل الفطر؟!**

إن من الســنة أن يحـرص الصـائم على أكلة الســحور، وكــذلك تــأخير الســحور، وتعجيل الفطر، وهي من السنن التي يغفل عنها الكثيرون.

قـــال رســـول الله ﷺ: «**فصل ما بين صــيامنا وصــيام أهل الكتــاب؛ أكلة السَّحَر**» [رواه مسلم].

وعن أنس عن زيد بن ثابت - رضي الله عنها - قال: تسحَّرنا مع النبي ﷺ ثم قـام إلى الصـــــلاة، قلت: كم كـــــان بين الأذان والسـحور؟ قـال: قـدر خمسـين آيـة. [رواه البخاري ومسلم].

وقال رسول الله ﷺ: «**لا يـزال النـاس بخير ما عجلوا الفطـر**» [رواه البخـاري ومسلم].

*** هل جــــربت الاعتكـــــاف في رمضان؟!**

لقد كان من هديه ﷺ أنه كـان يعتكف في العشر الأواخر من رمضـــان، فهل جـــربت أخي هذه السنة؟!

عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كـــان يعتكف العشر الأواخر من رمضـــان حـــتى توفـــاه اللـــه، ثم اعتكف أزواجه من بعده» [رواه البخاري ومسلم].

أخي المسلم، كانت تلك بعض السنن لَفَتُّ نظـرك إليهـا، وهي نمـوذج صـغير من ريـاض السـنن النبوية الطـاهرة، ونفحة من هديه الجميل ﷺ؛ قصــدت منها شــحذ همتك إلى الحــرص على الوقــوف علي ســنته ﷺ، والـــــتزود من معينها الجـــــاري، فحاسب نفســك، واعقد العـزم أن تكـون من الـذين يتأسون بالرسول الهادي ﷺ، ويهتدون بهديـه؛ عسى أن تكون غـدًا من المحشـورين تحت لوائــه، الشــاربين من حوضـــه، الفــائزين بشفاعته ﷺ.

والحمد لله تعــالى، والصــلاة والســلام على النبي محمد وآله والأصحاب.

***